



الهوية بين الأنا والآخر (حفلة القتلة) أنموذجا

أ.م.د. غصون عزيز ناصر
مديرية تربية البصرة / معهد الفنون الجميلة للبنات
montada_basrah86@yahoo.com

النزوع والرغبة اللاواعية لإفناء
الآخر والسيطرة عليه ، حتى أصبح
(الفرز والتهميش) واقعاً ملموساً
نلتمس أثره في جوانب حياة
المجتمع العراقي كافة .

The identity between I and the other
(The party of the killers) as patron)

The summary

It is no secret to anyone that the supremacy of tyranny, tyranny and the harsh conditions tasted by the Iraqi people, and the resulting political suffering, such as racial discrimination, complete disruption of freedoms and deprivation directed towards humanity - the previous rule from (1969-2003), which killed the feeling of citizenship and belonging, and what it was followed by an American occupation of Iraq, which resulted in wrong and confusing

الملخص
لا يغيب على احد ، أن سيادة الطغيان والاستبداد والظروف القاسية التي ذاقها الشعب العراقي ، وما ترتب عليها من معاناة سياسية ، كالتمييز العنصري والتعطيل التام للحريات والحرمان الموجه نحو البشرية أبان الحكم السابق من عام ١٩٦٩ - ٢٠٣٣ ، الذي آمات الشعور بالمواطنة والانتفاء ، وما تبعها من احتلال أمريكي للعراق ، تمخض عنه سياسات خاطئة ومربكة ، وفي ظل ذلك كله تمزق مفهوم الهوية ، وتشظي الشعور بالشاركة الوطنية ، ناهيك عن

تتجه فرضية البحث إلى الكشف عن الهوية وتبعثرها ما بين الأنا والآخر ، بوصفها متناً جوهرياً وليس شكلاً وجودياً .

كما يهدف البحث إلى الكشف عن الانساق الثقافية المضمرة والمتجذرة ، التي تقف وراء هذه التراتبية الاجتماعية بين الأنا والآخر ، وكشف تاريخ يكرر نفسه في انفجار بركان العنف بشكل حاد ومقرف قبل التغيير وبعده .

تقود خطة البحث على ثلاثة مباحث : يدرس المبحث الاول (وضعية التفوق للأنا) (الهوية المركزية) . بينما يتجه المبحث الثاني إلى دراسة (وضعية الدونية للآخر) (الهوية الهامشية) في حين يختص المبحث الثالث بدراسة (وضعية الغياب للآخر) (الهوية المقصية) .

التمهيد

مما لا شك فيه إن الهوية الوطنية ، هي أحد أشكال الهوية الجمعية الأكثر هيمنة ، بل انها جزءاً مهماً من الهوية الفردية . كما أنها ليست هبة ولا اختباراً غير معقد ، بل يتم

policies, and in light of all this , the concept of identity was torn apart , and the feeling of National partnership was fragmented , not to mention the unconscious tendency and desire to annihilate and control the other, until (sorting and marginalization) became a tangible reality that we seek its impact on aspects of the life of Iraqi society all.

المقدمة

تُعد الهوية قضية جوهريّة ، فلسفية ومنطقية ، ذات سيرورة غير منظمة وغير مستقرة ، ومفهوم مطلق ذو دلالات لغوية واجتماعية وثقافية . لذلك استحوذت على عناية المفكرين والأدباء ومن بينهم الروائي (علي بدر) ، الذي عني بها بدرجة كبيرة ، وحاول أن يستجلي إشكالياتها في المجتمع العراقي ودورها في عراق ما بعد عام ٢٠٠٣ ، وما لحق به من متغيرات سياسية واجتماعية ، حيث الاقصاء والتهميش بين الأنا والآخر ، وتعرض الهويات للتشظي والتمزق والانقسام ، حتى صار العراق يعيش في شكل غير مكتمل الهوية ، قائم على العنف والانقسام وشيوع ثقافة الهدم والتطرف ، ومبدأ تكفير الهويات الأخرى ، الذي عصف بأرض العراق.



بناؤها نقدياً انطلاقاً من مجموعة متأصلة من المعتقدات والممارسات في ضوء الظروف الحالية والآمال المستقبلية . أضف إلى أنها ضرورة علمية وإنسانية تتجاوز وظيفة التشخيص المجرد إلى وظيفة التنوير . وعليه يمكننا القول بشكل قاطع ، ((أنها القضية الجوهرية في الواقع العراقي ، بدليل تسيد اللغة الهوياتية في مختلف ميادين الطرح ، حيث نجد حضورها المكثف في الحوارات واللقاءات الفكرية ، السياسية ، الاجتماعية ... والبرامج و الكتابات في الصحف والمجلات و الكتب والمؤتمرات والندوات الخاصة بالشأن العراقي ، وكذلك في أحاديث المواطن العراقي في الشارع ، وكل ذلك يكشف عن قوة وثقل (هذا الموضوع))^(١) .

ومن هنا يشكل سؤال الهوية سؤالاً رئيساً يتمثل بحضور الأنا وما يترتب على هذا الحضور من مساس قوي بهوية الآخر المغاير (الهوية العراقية) ، تلك الهوية التي نراها في اقاصيص (حفلة القتل) لعللي بدر مرتبطة بعوامل الضعف

والخضوع لأوامر (الأنا) . بينما نرى (الأنا) مرتبطة دائماً بالقوي صاحب النظرة الفوقية ، الذي ينظر إلى نفسه على أنه متفوق على الآخر أو أن الآخر هو دونه .

وهنا تظهر الدلالة النسقية للثقافة وخطورتها ، التي تتمثل بكونها مضمرة وكامنة ، تمارس تأثيرها دون رقيب ، وحينما يأتي النقد لكشف هذه الانساق الثقافية فإنه بذلك يحرك سكوناً ذهنياً وبشياً كان راكداً ومطمئناً ومن ثم راضياً عن نفسه^(٢) . وهذا ما نراه في اقاصيص (حفلة القتل) للروائي علي بدر إذ يطرح مواضيع ومشكلات ، (الهوية ، والهجرة والاحتلال ، والاستبداد) ، لغرض رفع الاقنعة والمكاشفة ، ساعده في ذلك وعيه الثقافي العميق ، والانفتاح والحرية اللذان يعيشهما الروائي . فهو المثقف الجامع بين قيم التنوير والحرية والعلمانية الغربية . وعلى اساس ذلك يمكننا القول ، أن الثيمة التي ركز عليها الروائي هي ثيمة (الهوية) وتمزقها في المجتمع العراقي ، لاسيما بعد عراق ما بعد ٢٠٠٣ ، وكل ذلك لتكذيب

السرديات الكبرى التي تضعها الثقافات الرسمية ، تلك السرديات التي تمارس سلطتها الكاملة من دون منازع ، ليصبح خطابها هو الخطاب المهيمن والنخبوي ذو الاستقبال الجماهيري الواسع .

المبحث الاول

وضعية التفوق للأنا (الهوية المركزية)
إن هذه الوضعية الاستعلائية بين الأنا والآخر تشكل عاملاً أساسياً في فشل العلاقة بينهما ، و تبلور أنساق السلطة / القوة ، والذات الواقعة تحت وطأة التهميش والإقصاء والتهديد المسوخة صورتها في خطاب (الأنا) ، ذلك الخطاب الذي يمجّد العنف ، وكأنه وحده هو الذي يمنح الحياة ويصنع التاريخ .

وهذا ما نراه في أقاصيص (حفلة القتلة) لعللي بدر ، إذ تظهر (الهوية المركزية) بأنواعها المتعددة ، التي تضع هوية الآخر خلف ظهرها وليس أمامها ، لتجعلها هوية منظوية صامتة و ثابتة . بمعنى أنها غير خاضعة للتطور والتراكم

لغرض فرض هيمنتها عليه عبر آليات التصغير والتميع ، وهي بهذا تعمل على شطب الآخر وتعدّه قيمة ملغية لا ذات ولا هوية^(٣) .

وهذا ما اتضح لنا في القصة الثانية من أقاصيص (حفلة القتلة) ، تلك القصة التي تندرج تحت عنوان (حفلة القتلة) ، اذ يشتق الروائي (علي بدر) عنوان قصته الفرعية من العنوان الرئيس ، الذي يمثل عتبة للأقاصيص ، التي تقع في (٢٠٨) صفحة وتضم بين غلافها (١٢) قصة وهي: كاتب الروايات البوليسية ، حفلة القتلة ، جريمة جندي المخبرات ، حكاية المترجم الهندي التي رواها لي صحفي ميت ، وحدهم القتل شهدوا نهاية الحرب ، كبش الأساطير ، ثلج النهار الملتهب ، كأس بيرة غنيس إلى حنا البحار ... ذلك البحار البعيد ، حين سكرت مع البروفسور جيم في الحانة الايرلندية ، أقسم أن السيد مودي في لندن ، وموت الجندي الخيالي . إذ تمثل هذه الاقاصيص

عملاً أدبياً واحداً تناول صور الحرب المؤلمة والكوابيس التي



ترافق أغلب الشخصيات . فضلاً عن التزاوج بين الواقعي والخيالي ، الذي أرتسم على نحو ساخر ، والاحتدام للتجربة الإنسانية بكل أبعادها .

فإذا عدنا إلى القصة الثانية (حفلة القتلة) نرى صفة التفوق تتمثل بمدير (شعبة التحريات) والمسؤول الرئيس عن (قصر الحياة) ، الذي أعطاه المؤلف اسماً مكون من حرفين فقط (ج . ع) ، فهو الأعلى تقديراً في ذلك المكان ، الحاصل على العديد من المكافآت والهدايا ، والتي تفوق قيمتها بكثير راتبه الشهري ، بل أنه لقب بـ (بروفيسور القتل) ، ذلك اللقب الذي ينضح قسوة وتعالياً . وهذا ما تعرض له الخصوم السياسيون أمثال (مفكر الحزب) ، الذي نال قسطاً من التعذيب علي يد هذا (البروفيسور) الذي طالبه بالإفصاح والاعتراف بالخيانة وتدمير المؤامرات على رئيس البلاد ، إذا استمر التعذيب وتسجيل الاعترافات ، والبوح بأسماء المتآمرين أشهر عدة ، كما في قول الراوي الشاهد على هذه الاحداث :

((قبل أن يصرخ مدّ مديري له هذه الألة الحادة وبدأ ينهش لحمه ببطء ، لم يستغرق الأمر طويلاً ، نصف نهار من العمل المتواصل ، بين كي بالكهرباء و نهش بمخالب حديدية ، تمكن مديري من انتزاع الاعتراف منه)) (٤) .

وهنا يعود بنا السارد إلى (شعبة التحريات العامة) إلى عام ١٩٧٢ زمن مدير الأمن المعروف بوحشيته في ذلك الوقت (ناظم كزار) ، ليسرد حكايات مفزعة ومربعة تجسد انواع التعذيب ، التي يتعرض لها الخصوم السياسيون ، أو ما يسمى بالسجناء الصليبيين ، الذين لا يعترفون بسرعة ، لذلك يرسلون إلى آلة تكسير العظام (٥) .

وفي جلسة يحضرها وزير الداخلية ومدير الأمن لتكون المفاجأة الصادمة ، باعتراف مفكر الحزب ، إن الرأس المدبر للمؤامرة هو مدير السجن (بروفيسور القتل) ، الذي سرعان ما أخذه إلى المفرمة هرسوه وحولوه إلى عجينة من اللحم والعظام ، كما في قول الراوي الشاهد :



((لقد مزق مديري بطريقة لا مثيل لها ، وهو حي ينظر إلى نفسه ويتلوى من الألم، ومن ثم اخذوه إلى المفرمة هرسوه وحولوه إلى عجينة من الدم والعظام))^(٦) . ومن هنا تفوح ثقافة العنف ، التي درّسها مدير الأمن لتلامذته الخمسة ، ناهيك عن عدم أتاحه فرصة الاعتذار ، لتظهر بذلك التراتبية العسكرية الصارمة التي لا تخفى عن الروائي (علي بدر) ورتابة الحياة على حافة الموت . وفي مشهد آخر تقدم لنا قصة (ماكنة الصور المرعبة) الهوية المركزية المتمثلة (بالمليشيات الدينية) ، التي ظهرت بعد عام ٢٠٠٣ ، ودورها في أنتشار الخطف والقتل ، إلى جانب أعمال التخريب والمؤامرات ، وتأجيج نار الفتن بين الطوائف من خلال تصعيد العنف والقتل على الهوية . ففي هذه القصة يقدم لنا (علي بدر) (محمود العلي) لاجيء عراقي ، شاب في الثلاثين من عمره ، قدم إلى بروكسل منذ عشر سنوات ، بسبب دخول الإسلاميون (العصابات الدينية) ، الذين يرتدون ملابس كاكية ومرقطة، ولحاهم

طويلة ، ووجوههم ذات سحنات مرعبة ، إذ اخذوا يداهمون الشباب في الحارات و رميهم بالرصاص ، وكل ذلك بسبب كونهم (آخر) مغاير لأيديولوجيتهم الفوقية ، كما في صورة هذا النص :

((فقد قبض عليه يوماً في بغداد مع مجموعة من الاصدقاء من قبل ميليشيات دينية وحكم عليهم بالموت ... قتل الآخرون لكنه نجا فلم تصبه رصاصة ، وسقط معهم وضرجه دماؤهم فتظاهر بالموت))^(٧) .

ومن هنا يحول (علي بدر) الأنموذج القصصي إلى علامة دالة منتزعة من واقع معين ، حينما خرج من نطاق العالم المتخيل وراح يؤكد هذه الحقيقة (حقيقة المجتمع)، الذي اكلته الصراعات والايديولوجيات ، التي ظهرت بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ ، دليل ذلك هذا النص :

((فاليمين المتطرف يصعد كل يوم درجة في الحياة الاجتماعية و السياسية ولن يكون بمنأى في يوم ما عن السلطة))^(٨) . وتستمر هذه الفوقية للمليشيات الدينية في القصة

الخامسة (حكاية المترجم الهندي التي رواها لي صحفي ميت) ، إذ يقدم لنا الروائي (علي بدر) (راجا تشاندران) الهندي ، الذي كان عاملاً في أسواق الهنود الشهيرة في البصرة من خلال الصحفي ، الذي كان جندياً أيام الحرب العراقية الإيرانية وتعرف عليه وعاش في البصرة ، وعانى ما عانى أهلها في الحروب حتى دخول القوات البريطانية العراق عام ٢٠٠٣ ، إذ تحول إلى مترجم وخلع عمامته وحلق لحيته وارتدى الملابس الأوروبية . ويستطرد الروائي في الحكاية عن الصحفي الذي يتعرض له المسلمون ويتهمون به بالتجسس لصالح البريطانيين بواسطة هذا الهندي ، وكما في صورة هذا المشهد السردى :

((كنت واقفاً بانتظار تاكسي لتقلني إلى دار سينما في وسط المدينة ، فجأة توقفت سيارتهم أمامي وهبط منها ثلاثة ملتحين ، وبأيديهم أسلحتهم . - قف وإلا سأفجر خصيتك بالرصاص ... فتح مغلاق سلاحه ورفع بندقيته ذات الفوهة القصيرة وأراد أن يطلق الرصاص على

صدري)) (٩).

وهنا تتشكل الهوية بجدلية الأنا والآخر ، وبروز الذاتية السلطوية ، التي تتميز بالأنانية والتمايز والتراتب والتعالي على الهوامش الثقافية ، وكل ذلك لتحقيق مسوغها المتمثل بالرغبة والتفوق .

وهذا أيضاً ما ستبرهن عليه قصة (وحدهم القتل شهدوا نهاية الحرب) ، التي تمثل هويتها المركزية بمفهوم (الموت) ، الذي أرتبط بفكرة (الحرب) ، إذ يذهب الروائي (علي بدر) إلى الحرب واجوائها وعنائاتها (أيام حرب الخليج) ، حيث القصف والانفجارات والصيحات والنداءات ، والاختلاط بالقتل والنوم بينهم . كما في صورة هذا النص :

((كان الصمت وحده كافياً ليدل على هذا التغلغل البطيء للموت فينا)) (١٠). بل نجد الأكثر من ذلك ، حيث التعويض المستمر للقتل ، فيما أن القتل مستمراً فالتعويض مستمراً أيضاً ، حتى يغدو الموت (صوتاً مركزياً) مهيمناً لا يشوشه التعدد في محيط الانتماء والحركة والفعل ، كما



في قول الجندي (الراوي المشارك) بالأحداث التي يرويها :
 ((أنت تعوض المقتول وتشعر في الوقت ذاته أنك مقتول مؤجل ، وهناك من ينتظر تعويضك ... ولا تفكر إلا بأمل ما في الحياة ... وفي لحظات العذاب تفكر بالاستعداد لتقبل فكرة الموت))^(١١).

ومن هنا تظهر لنا الانثروبولوجيا لثنائية الموت / الحياة ، التي تقابل الأنا / الآخر ، والتي استلهمها الكاتب (علي بدر) من واقعه كإنسان مصيره الموت ككل الكائنات الحية ، إذ أن الأبنية القصصية ليست أبنية قائمة في فراغ ، بل هي ابنية وعي قائمة أو حاملة خصائص تكوينية^(١٢).

وفي القصة السابعة (كبش الأساطير) تحضر الحرب أيضاً ، إذ يعود الروائي إلى استذكار أجواء الحرب ، وفكرة (الموت) التي تترصد للشخصيات في كل لحظة وفي كل مكان ، فضلاً عن (التراتبية العسكرية) التي تظهر لنا وللمرة الثانية ، إذ نرى الضباط يستمدون قوتهم من السلطات الحاكمة ليمارسون العنف على

الهويات الأخرى المتمثلة بالجندي (كريم) ، الذي يروي لنا ما عاناه أيام الالتحاق بالجيش العراقي ، وكيف تركت الحرب أثرها في ذهنه ، وأثرت في تفكيره ، فهو ضحية من ضحايا الهم السياسي أو العنف السياسي والحرب التي يخضوها ويشرك البشرية فيها ، دليل ذلك هذا النص السردي :

((لا أبالغ إن قلت لك أيها الجندي الطيب إن في الحياة خرافاً مثلنا ، وفي الحياة ذئاباً مثل القادة والسياسيين))^(١٣).

وعليه يظهر النسق المركزي الذي يتخذ أشكالاً مختلفة ومتنوعة ومتعددة ومتشابهة في الإقصاء والتهميش للآخر ، والسعي إلى نفيه وعده نكره .

فضلاً عن فن السخرية الذي يتجسد من خلال قول (الجندي السريالي) على لسان الراوي (كريم) :

((يتحول الضباط إلى رعاة محبين ونحن نتحول إلى خراف واعين))^(١٤).

من خلال السخرية يتضح انفصال

الآخر عن واقعه واغترابه الداخلي ، فضلاً عن احتقاره وتهميشه من لدن الهوية المركزية .

ومن خلالها أيضاً يمرر الروائي (علي بدر) معارضته للنسق الثقافي المهيمن والرغبة في تقويضه . وتستمر الوضعية الفوقية (للأننا) في القصة الثامنة (ثلج النهار الملتهب) ، التي تطالها شرارات الحرب ، التي دخل بها الجيش العراقي آنذاك ، إذ يعرض لنا الروائي (علي بدر) الجنود وهم يساقون إلى ساحات الحرب ليتقدمون نحو قلب المعركة ، يتقدمون بصعوبة في الثلج ، وعدد من الجنود القتلى يتساقطون من أعلى ويتدحرجون إلى أسفل . والعديد منهم يسقطون ممزقين بالرصاص أو شظايا المدفعية ، كما في قول الراوي :

((فعندما يتذكر الآخرون الثلج مرتبطاً بالزلج وبالسفر إلى المدن البعيدة ، أتذكره بحيوية كما لو كانت محفورة بالتيزاب ، فوجوه القتلى في الثلج أكثر رعباً من وجوه القتلى في الحالة العادية)) (١٥).

وعلى هذه الوتيرة تضي مشاهد

الأم الجسدي) ، حيث يقترن الألم بما هو شخصي مدرك كعطب حسي ، لا ينطق إلا عبر خرابه الفاجع ، وتفسخه البدائي ، ليقدم لنا شكلاً من أشكال التصالح مع الموت ، وشكلاً آخر من الاستسلام له والخضوع لسلطوته الفوقية وجبروته ، حيث تفشي (الموت) كوباء قاتل وانعدام الإنسانية في الحروب .

هكذا يروي لنا الراوي (علي بدر) حياة الجنود الذين عاشوا أجواء الحرب والرعب الحزينة بمخاوفهم وآمالهم بقلم شاهد عيان ، إذ يشدد على دور الذاكرة في استعادة الذكريات الأليمة التي حفرت عميقاً في وجدان أصحابها ، وكل ذلك عبر تشكيلات فنية متنوعة مؤلفاً من ذلك كله كيمياء بلاغته ورؤيته لأقانيم : (الخوف ، والموت ، والعزلة) .

وإذا عدنا إلى القصة الأخيرة من أقاصيص (حفلة القتل) التي ادرجها الكاتب تحت عنوان (موت الجندي الخيالي) نرى نوعاً آخر من (السلطات الفوقية) ، لاسيما التي ظهرت بعد عام ٢٠٠٣



، وسقوط الدكتاتورية السياسية وبقاء دكتاتورية الشارع .
وهنا يحاول (علي بدر) كما صرح ، تفكيك منظومة الثقافة العراقية وتأسيس رؤية جديدة من خلال النقد التقويضي ومن خلال جعل السرد منهجاً أو فناً للاحتفال مثله مثل الحياة^(١٧).

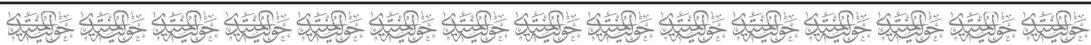
نستنتج مما تقدم أن الهويات المركزية في أقاصيص (حفلة القتلة) هويات مهيمنة ، ذات نزعة سلطوية (فوية) لصيقة بعمليات الإقصاء والعزلة والرؤية الواحدة ، نافية لكل صيغ الاندماج والتماهي ضمن كلية مؤسساتية واحدة . وكل ذلك جراء اسنادها لطابع فنوي يرغب في الغاء الآخر ويعده هجين .

المبحث الثاني

وضعية الدونية للآخر (الهوية الهامشية)
لاشك في إن مسألة الهوية مسألة ثقافية قائمة ، طرحها أغلب المتون السردية ما بعد الكولونيالية ، لتكشف بذلك تأثيراتها النفسية في الفرد ، ولتظل في الوقت ذاته إشكالية معقدة ، يبحث من خلالها

، حيث تفشي ظاهرة الأحزاب والصراعات الفكرية والجسدية ، وسطوة النزاعات الطائفية والتفكيك العرقي ، ناهيك عن تحول القتل إلى معزوفة ينشدها الجميع دون استثناء . إلى جانب حدة التشظي والانقسام بين مكوناتها السياسية ، واستمرار مسلسل التهميش والاقصاء ، وتكوين قاعدة لقيام العنف والصراع الذي غيب حضور الجامع الوطني ، وأعاق بالوقت ذاته حضور الغيرية في أثناء الذات . وهذا ما أدلى به الحوار الذي دار بين (العريف سبهان) وبين الرجل الذي اعترض طريقه :

((كما تتذكر أن الحرب الطائفية اشتعلت بعد الديمقراطية الأمريكية مباشرة . فكرهت الناس هذا الوضع . كرهت التعصب والكراهية والإرهاب ، وأصبحت تطارد المتعصبين غير أن المتعصبين وجدوا ملاذاً لهم في اميركا ، ...))^(١٨) .
ومن خلال ذلك كله تظهر لنا حياة الأناس وهي ترزخ تحت ظروف الاحتلال ، والفوضى التي حلت بالشارع العراقي بعد التحرر



(الآخر) عن هويته، التي تعثرت وتمزق مفهومها، الذي غدا سياقاً لتفاهل إحساس الهامشية والشذوذ، وهو الحال الذي لا يمكن أن يفسر خارج سياق النفي الداخلي الذي يصوره (علي بدر) سردياً في النصوص القصصية موضوع الدراسة، ليكشف بذلك سياسة الطغيان والاستبداد التي تمارسها الهويات المركزية على الهويات الأخرى، وهيمنها وركونها للعنف واستخدام القوة، لتتضح بذلك ثقافة الانزياح والخطاب المهيمن، الذي يضع الآخر خارج دائرة الضوء وبؤرة الاهتمام.

ومن خلال دراستنا لأقاصيص (حفلة القتل) نرى الهوية المهمشة ماثلة فيها وبشكل واضح وغزير، ففي قصة (كاتب الروايات البوليسية) تتمثل الهوية المهمشة بـ (سليم ناجي)، الذي يقرر أن يكتب أول رواية بوليسية في حياته، فهو جندي عراقي كان يعمل كسائق دبابة في قوات أبادتها الطائرات الأمريكية، في طريق الموت بعد الانسحاب من الكويت، إذ نجا

من الموت بمعجزة، وبعدها تسرح من خدمته العسكرية، ومن ثم مارس أعمالاً مذلة ومهينة (بجملته الراوي)،^(١٨) مقارنة بعمله السابق، مثل تصريف الدولار قرب معرض بغداد الدولي، بائع ملابس مستعملة، بائع صحف متجول، بائع ماء، مساعد حداد، وأعمال أخرى لا تدوم أحياناً إلا أياماً قليلة فقط. وبعدها يتم اعتقاله في السجن لمدة عام كامل وذلك بسبب مشاجرة بسيطة في سوق الملابس المستعملة في ساحة التحرير، كما في قول الراوي: ((سجن عاماً كاملاً بسبب مشاجرة... تحول تحولاً خطيراً: لقد أدرك أن الحياة هي رواية رعب كبيرة، لها كاتب كبير أيضاً، فيها مجرمون وضحايا))^(١٩).

هكذا هو حاضر (سليم ناجي) ذل وهوان، إذ تتحول الحياة إلى عالمين: -عالم السادة (الوضعية المركزية).

-وعالم العبيد (الوضعية الهامشية). ويصبح سجين زمن القوة، الذي يعمل في ديمومة تسير في خط ملتوي، لأن عقارب الساعة فقدت القدرة على حساب الوقت، ولم تجد



الطريق الصحيح إلى المستقبل ، ومن ثم سقطت في ضياع خارج الوجود ، كما في صورة هذا النص : ((لقد خرج من السجن بعد أن انهكه الجوع والعمل ، وكانت ساعات التعذيب والاذلال التي نفذها نحوه بشر مثله ، كافية لتغيير نظرتة إلى البشر))^(٢٠).

وهنا ينكشف التهميش والإقصاء (لهوية الآخر) (سليم ناجي) ، الذي طاله العذاب الجسماني دون أن تحترم هويته الذاتية وهويته المهنية السابقة ، إذ كان جندياً في الجيش العراقي . وهنا تتجسد ذروة المأساة الذاتية ، وتدني الأوضاع السياسية في ظل أنظمتها الدكتاتورية المستبدة . تقدم القصة الثانية (حفلة القتلة (صورة أخرى من صور الهويات المهمشة ، والتي تتمثل بالسجناء السياسيين ، الذين يعتقلون وهم معصوبي الاعين تقلهم شاحنات كبيرة إلى (قصر الحياة)^(٢١) ، ذلك القصر ، الذي يحمل اسمه مضمراً نصياً يخالف بنيته الظاهرة ، فكلمة قصر تقابلها كلمة قبر والحياة يقابلها الموت . وبهذا فالعنوان هو

واحد من عتبات النص الممهدة للدخول إلى العالم الروائي أو القصصي ، كما هو ((ليس عبارة لغوية متقطعة أو إشارة مكتفية بذاتها ، بل هو دائماً مفتاح تأويلي أساسي لفك مغاليق القصة))^(٢٢) . إذ نرى هذا المكان وهو يؤطر بإطار التسلط والهالة السوداء ، إذ ينصح ميداناً للثنائية الضدية ، السلطة / الهامش ، الفوقية / التحتية ، الحياة / الموت . كما في قول الراوي الشاهد على الاحداث التي يرويها : ((ومن زيارتي الأولى فهمت أن القسم السفلي هو الجحيم بعينه ، حيث تشوى أجساد المشكوك فيهم وهم احياء ، ويقوم بذلك ضباط التحريات ، بينما عائلاتهم ترقص في الأعلى ، ونساءؤهم بالمايوهات في برك السباحة))^(٢٣) .

وعليه تظهر العلاقة الجدلية بين الأنا والآخر بتشكلها الكائن في المجتمع العراقي ، بوصفها قضية سياسية واجتماعية وثقافية زرعتها الهوية المركزية المهيمنة . كما يتعرى بالوقت ذاته زمن الحكومة البعثية السابقة المشبع بنكهات الجرائم

وميناء الدم. وهي التفاتة ذكية من الروائي (علي بدر) للتصريح بقضية تغاضى عنها التاريخ ولم يذكرها، وهي فكرة (القتل)، التي مارسها النظام السياسي تجاه أبناء الشعب. وكان هدف هذه الالتفاتة تفكيك الذاكرة واسترجاع تلك الهويات المسحوقة التي أقصيت من الساحة العراقية وسكت عنها التاريخ، كما في قول الراوي المشارك:

((كان الموت والجمال في هذا المكان متجانساً، ... كنت أشم رائحة الموت من الأقبية السفلية)) (٢٤).

ونرى تمثل هذه (الهوية المهمشة) في القصة الرابعة (جريمة جندي المخابرة)، حين يحدثنا الروائي عن (جمال احمد) جندي المخابرة في وحدة الاستطلاع العميق رقم (٣١٢) المقاتلة للعدو الاميركي في الجنوب، الذي يقتل عريف المخابرة في وحدته لأنه خائن، إذ تتضمن هذه القصة اعترافات مختلفة ومتنوعة ذات تشعبات عديدة. فالحكاية في هذه القصة تعتمد على موجات اختلافية واحتمالية في مشاهد اعتراف الجندي (جمال احمد

) . إذ تبدأ عضوية كبيرة من الاخفاء والتمويه في سرد الاحداث، حيث نرى التلاعب بوحدات الحكي في اللازم النصي، يبدأ السارد بهذه الفقرة الاستهلالية:

((سادتي الضباط اسمي جمال احمد، اعمل كجندي مخابرة في وحدة الاستطلاع العميق رقم ٣١٢، ... اعترف امامكم وأنا بكامل قواي العقلية بأني قتلت سالم حسين، عريف المخابرة في وحدتنا، سحبت مسدسي واصبته برصاصة في رأسه، لأنه ببساطة خائن، وعقوبة الخائن هي الموت.)) (٢٥).

ثم بعد ذلك نرى انعطافه خاصة بعاملية الفعل الموجه في صورة القاتل وهويته الدالة اعترافاً، إذ نرى تحول وتلعثم في نقل الاحداث، فمرة نجد أسباب تخالف ما سبقها من مسببات، ومرة نكتشف بان القاتل هو خارج عملية القتل، وان من قام بفعل القتل هو الجندي الآخر في المخابرة بعد ضبطه بفعل الاتصال مع الامريكان وخيانة زوجته مع عريف المخابرة القتل، وصولاً إلى معطيات الاحداث،



وحقيقة الموقف ومن هو القاتل الحقيقي ، دليل ذلك هذه الفقرة التي يسردها القاتل (جمال احمد) :
 ((أرجوكم سادتي الضباط لا تظنوا خيانة عريف المخابرة في وحدتنا غامضة ، فقد دخلت عليه مساء الثلاثاء ، و وجدته يتصل بالأمريكان و يعطيهم احداثيات ومواقع عسكرية كثيرة ، لقد سمعته بأذني هاتين اللتين سيأكلهما الدود بعد موتي ... انه جاسوس ببساطة ، وحين واجهته بالأمر اعترف بانه جاسوس يعمل لصالح الاميركان ، ولكنه ندم على فعلته أو خاف من الوشاية به ، فطلب مني أن اطلق عليه رصاصة واحدة في رأسه ، وهي رصاصة الرحمة ، فسحبت مسدسي واطلقت عليه رصاصة واحدة ، ... ولا اعرف عن امر الرصاصتين الآخرين)) (٢٦).

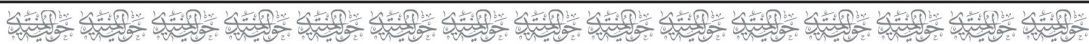
وهنا يمكننا ملاحظة اختلاف في المسرود وفي اعترافات القاتل ، ففي كل فقرة أصبحت هناك تفاصيل جديدة و اضافية توافينا بطريقة القتل وهذا يقودنا بدوره إلى الاسترجاع ومعرفة أسباب القتل

والجرائم وكيفية وقوعها من قبل القتلة في وحدة المخابرة من ناحية ومن ناحية أخرى تظهر لنا إشكالية فاعل القتل ، حيث هناك علاقة مربية بين ذلك العريف وزوجة جندي المخابرة . كما في صورة هذا النص : ((أقام علاقة مع زوجتي حينما أرسلت بيده راتبي أثناء الاجازة)) (٢٧).

وهنا نصل من خلال صورة الاحداث وصوت الراوي المشارك بمردودية القتل إلى الخائن واحجية تلك الرصاصات المتعددة مع التبئير لهوية القاتل الحقيقي ، الذي يتضح لنا من خلال الاعتراف الأخير وصوت السارد القصصي (جمال احمد) :

((أنا جندي مسكين سادتي الضباط لم أنم من شهرين ، من بدء الهجوم الأميركي علينا وحتى اليوم ، لقد تحالف الجميع ضدي الزمن ، القدر ، الاميركان ، عريف المخابرة ، زوجتي)) (٢٨).

وهنا يكشف لنا الروائي (علي بدر) السيرة الذاتية لحياة الجندي (جمال احمد) ، وهويته المهمشة ، التي



تحالف الجميع في تهмиشها ، إذ جعلته تلك الدونية يعيش حالة هلج وهلوسة وشكوك في ابداء الحقيقة فضلاً عن الاستقطاب الدرامي بين الذات المهمشة وماضيها المنذر ، والانقسام الجوهرى في الذات ، والتوتر الناتج عن ادراك ذلك التشظي الذي يتحول إلى هوية إشكالية أو إلى حافز للتماهي مع هوية (الأنا) المتحكمة و الاحتماء بتمركزها والاعتراف بها . وفي مشهد آخر تقدم لنا قصة (ثلج النهار الملتهب) ضحية أخرى من ضحايا الوضعية الدونية (للآخر) ، وهم الأقليات العرقية (المسيح والأرمن) ، وتعرضهم للهجوم على منازلهم وسياسة التهجير القسري ، وعدم الاعتراف بهم ، والسعي إلى محو هويتهم ، كما في صورة هذا النص السردى :

((كنت الجندي الوحيد في قرية مسيحية ، نفاها التاريخ على قمة جبل تبعد فرسخاً أو فرسخين من المدينة العظيمة)) (٢٩).

وقوله أيضاً : ((كان المسيحيون يعيشون بخوفٍ دائمٍ من الاتراك

والاكراذ)) (٣٠).

وهنا تنكشف المضمرات النفسية والأيدولوجية وسياسة التهميش من لدن السرديات الكبرى ، بوصفها هوية مركزية تنفي الآخر ولا تعترف به ، لأن ((الاعتراف بالهوية هو المعنى الحقيقي للوجود)) (٣١).

لذلك تعمل تلك السرديات على محو الوجود ، وبناء مستودع تبعثر الهوية وتشظيها . لأن وعي الإنسان بالانتماء لا يتم إلا بالهوية والاعتراف بها بعيداً عن التهميش والمصادرة . وتستمر (ثقافة التهميش) للأقليات العرقية ، لتطال قصة (كأس بيرة غنيس إلى حنا ... ذلك البحار القديم) ، إذ تجسد هذه القصة يوميات عراقي مسيحي مغترب اسمه (حنا) ، كان يعمل بحاراً في ميناء البصرة أيام السبعينيات . عاش مع عائلته أبشع صنوف الذل والهوان من لدن الهويات المركزية ، لاسيما بعد عام ٢٠٠٣ ذلك العام الذي وصلت فيه بغداد أعلى نقطة لها في القمع والقهر والاستبداد ليعيش بهوية مضطهدة سياسياً



وعقائدياً واجتماعياً ، ومن ذلك قول الراوي :

((ها هو الآن أمامي رجل يشعر بالهزيمة والكآبة ، بحار قد عرف البصرة واضواءها في الليلة السابقة للحرب مع إيران في العام ١٩٨٠ ، وكان يحلم بمدينة عظيمة ... لكنه الآن مصاب بأرق دائم ، ومجنون بمحيط كبير ومظلم ، بعد أن فقد شقيقه (جوزيف) في الحرب ومات والده (ياقو) الذي كان يربي الطيور في الخمسة ميل ، ورحلت حبيبته الفتاة الغامضة ... إلى مكان مجهول ، ثم انتحر صديقه ، ذلك الشاب ، الذي لا يكف عن الحديث عن ولعه بالهروب من العراق إلى أوروبا ، والذي كان يستحم كل ليلة في نهر دجلة ، غير انه اختفى في الموج ذات يوم ، من دون أن يعرف أحد إن كان اختفاؤه هروباً أو انتحاراً)) (٣٢) .

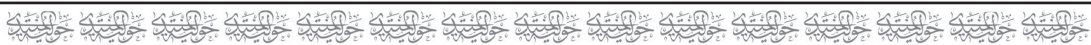
هذا إلى جانب المنفى والاغتراب الخارجي ، إذ يقرر الهجرة من العراق إلى لندن ، ليجسد في الوقت ذاته غربة الفرد عن المجتمع الذي ينتمي إليه ، وإحساس الخيبة والعزلة والتهشم واغتراب المكان

وضياع الهوية الوطنية ، كما في قول الراوي الذي كان مع (حنا) ، الذي روى له قرناً كاملاً من حياة عائلته في مدينة البصرة :

((إنه بحار قديم ، ترك خلفه بلداً متهالكاً من الحرب ، من دون أن يكف عن الحلم بالعودة مرة أخرى إلى خليج البصرة ...)) (٣٣) .

ومن هنا تكون المحصلة النهائية بجعل الوطن طارداً للذات سالباً لإنجازاتها المهنية ، حتى أصبح عامل إلغاء الهوية ثقباً كبيراً وواسعاً في النسيج الوطني ، لأن ((الإنتماء للعراق وهويته التاريخية والثقافية هو القاسم المشترك الوحيد الممكن لجميع العراقيين لتجاوز فروقهم الطائفية والقومية والمناطقية والمعتدية)) (٣٤) .

وفي أنموذج آخر تقدم لنا قصة (حين سكرت مع البروفسور جيم في الحانة الايرلندية) ، وضعية دونية (لهوية الآخر المهمش) ، والتي تتمثل بـ (جاسم حمادي) ابن مدينة الحلة الذي صار يلقب نفسه باسم (البروفسور جيم هاسن) ، بعد ان حصل في عام ١٩٧٩ على بعثة



حكومية إلى بريطانيا ، وقد درس أدب الرحلات في جامعة اوكسفورد ، وعاش طالباً فيها على نفقة الحكومة العراقية ، ثم صار استاذاً جامعياً وحصل على المواطنة البريطانية في عام ١٩٩٠ ، تزوج من (أدبلاكوبل) أستاذة بريطانيا في الأدب الإنكليزي ، وانجب منها اولاداً^(٣٥) . وبعدها أخذ يؤلف العديد من الكتب عن (الاستعمار وأدب الرحلات) .

ومن ذلك الوقت ، ونتيجة لحصيلة تلك الكتابات والتأليفات ، تطرح المسألة الحضارية بين الأنا والآخر عبر شخصية المثقف (البروفسور جيم) ، الذي يحتك بالغرب ، ويتعرض لانتقادات حادة من لدن مجموعة من الأساتذة المعروفين في الوسط الأكاديمي في الجامعة ذاتها ، لاسيما (جونسون) ، لتنبثق ملحمة سقوط الآخر على عتبة الأنا ، والاحساس بالظلم المسلط على المثقف العربي) ، كما في صورة هذا النص السردي :

((هذا أمر لا شك فيه ، كما أن العنصرية هنا معروفة ، فما أن

تكون من الشرق حتى يهجم عليك الجميع ... حتى في الوسط الأكاديمي هناك تراتبية ، عليك أن تعرف نفسك من خلالها ، لا تضع نفسك في غير محلك ، الهندي يحتكر متشبهاً بالبريطاني ، والبولوني يتنازع السيادة مع البلانغديشي ، والباكستاني مع الهسباني والكل محسوق من البريطاني بطبيعة الأمر))^(٣٦) .

وهنا يعبر الخطاب القصصي عن تمثيلات المثقف وتجلياته ، ويقدم صورة تعكس شيئاً من واقعه في علاقاته بالمجتمع والآخر . وتتعرى بالوقت ذاته ثقافة الاقصاء والتهميش . كما يرسم المقتبس صورة الذات الضعيفة المسحوقة ، التي تقيم على هامش مجتمع الغربية والتي تجعل الخوف عائقاً عن الإفصاح والركون إلى الراحة والاطمئنان والأمان .

تبين لنا من خلال ما تقدم ، كثافة وجود الوضعية الدونية (للهويات المهمشة) من لدن (الأنا) الجائرة والمتفوقة ، إذ يعد هذا التفوق علامة بارزة على ضياع هوية الآخر (الذاتية والوطنية) ، لذلك

عمل الروائي (علي بدر) على إدانة ذلك الواقع الأليم ، وكشف وجهه المضمّر ، وتعريّة قضاياها الاجتماعية مثل : موضوع الأقليات ، والمهاجرين ، والمهجرين ، والحرب الاهلية ، والفتنة الطائفية ، التي عصفت بأبناء الشعب الواحد بعد التغيير السياسي عام ٢٠٠٣ .

المبحث الثالث

وضعية الغياب للآخر (الهوية المقصية)
مرت الشخصيات القصصية (حفلة القتلة) بظروف متعددة ومتنوعة وقاسية ، أدت إلى اضطرابها وتعثر انتمائها وتخلخل معرفة النفس والذات ، تلك المعرفة التي تعد شرطاً أساسياً لمعرفة الهوية وما تفرضه من انتماء وعلاقة مع الآخر ، ((لأن الإنسان لا يستطيع أن يحدد موقفه من غيره قبل أن يحدد موقفه من نفسه . من هو ؟ ومن يكون ؟ وماذا يريد ؟)) (٣٧) .

كما أن معرفة النفس هي الأساس في بناء هوية الإنسان وتحديد موقعه من الجماعة ، بل أن إحدى أهم سمات الفرد بوصفه كائناً بشرياً هو

الانفتاح على الآخر ، ذلك لأننا ((لا نستطيع فصل (الأنا) عن (الآخر) لأن الهوية تحقق شعوراً غريباً بالانتماء إلى الجماعة)) (٣٨) ، التي توفر لها إطاراً وظيفياً و مرجعياً . وكل ذلك يدفعنا إلى الوقوف عند الهويات المقصية التي تعرضت للضياع والعنف والطمس من لدت الهويات المركزي ، ناهيك عن الإزاحة والنفي من مسرح الاحداث ، وإزالة صورة الذات و إسقاط الوجود .

ولعل القصة الأولى من أقاصيص (حفلة القتلة) (كاتب الروايات البوليسية) تشكل خير انموذج لطرح هذه الإشكالية ، إذ تتمثل هويتها المقصية بـ (سليم ناجي) الذي يلتقي بمعلم اللغة الإنكليزية (الأستاذ نديم) ، فتتغير حياته ويتحرر من سليم الخائف المهان والبريء إلى سليم الكاتب فيصغي له ويتأثر بكلماته ويهرع إلى البيت ليكتب قصته المرعبة الأولى ، لكنه مع كوايسه وكتابات صار كلما كتب عن جريمة يجدها تحدث في الواقع ، لاسيما أنه يرى الأستاذ

(نديم) يضحك قالاً له : ((لا تخش شيئاً يا بني اكتب عن جرائم أخرى لاستمتع أنا بأكثر عدد من الجثث)) (٣٩).

وهنا ينتقد الروائي (علي بدر) الواقع الاجتماعي الذي جعل (ثقافة العنف) والقتل والدمار (سمة للاستمتاع) ، وليكشف بذلك نزوع اللاوعي لإفناء الآخر والاستهزاء بالموت والتلذذ به . اذ يستمر (سليم ناجي) بكتابة القصص البوليسية وتستمر الضحايا بالتساقط الواحدة بعد الأخرى . تبدأ الجرائم بالضحية الأولى الفتاة التي تقتل وتعذب بشكل وحشي وبعدها المحامي الذي يقتل في مكتبته اثناء تواجده فيه ليلاً ثم ، بعد ذلك بجثة مدير المتحف وتنتهي بجثة البقال التي تعثر عليها امرأة في مستنقع معتم منعزل يلفه الضباب (٤٠) . وفي النهاية نصطدم بحادثة غريبة وحقيقية تطابق واقع رؤية قصة الكاتب البوليسية ، فقد حدث فعلاً ما يثير العجب خصوصاً ما قامت بنشره (صحيفة الجمهورية) من كلام غاية في الضربة المضمونية :

((كتبت صحيفة الجمهورية ذلك اليوم ، أن هنالك شخصاً يدعي ان كل ما يكتبه من جرائم على الورق تصبح حقيقة ، وهو يشك بمعلم أسمه نديم هو من يقوم بكل هذه الجرائم ، الشاب بحالة مزرية يبكي ويتوسل الناس أن يصدقوه ...)) (٤١) .

وهنا عرض (علي بدر) شخصية (سليم ناجي) و حالاتها السيكولوجية المتباينة ، فهي المهشمة و المجنونة ، و الساخرة و الضحية المقصية فقد حملت هذه الشخصية الحالات السيكولوجية إلى الضفة الأخرى كاشفة عنها ، من خلال افعالها المفهومية حيناً و اللامفهومية حيناً آخر . فقد كان (سليم) كما ذكرنا في الصفحات السابقة ، شخصية مهشمة تسرحت من الجيش ، و مارست اعمالاً مهينة مقارنة بوظيفتها السابقة ، ثم بعد ذلك تعرضت للتعذيب و الطمس من لدن الأنظمة السياسية (اثناء المعتقل) ليخرج بعد ذلك شخصية ضعيفة منكسرة تعاني من الهلوسة والشكوك ، لينتهي بها المطاف



بالجنون و الادعاءات التي تنشرها في الشوارع و الازقة . دليل ذلك كلمة الراوي (يدعي) في النص أعلاه . تطرح قصته (ماكنة الصور المرعبة) وضعية غياب أخرى ، تتمثل بـ (محمود العلي) ، اللاجئ العراقي الذي اخذ يقرأ في موسوعة سمكة عن المكائن و طرق تشغيلها ، إذ تطور الامر عنده فبدأت هذه الماكينة تزوده بصور او توماتيكية هو لا يريد أن يراها .

تبدأ رحلة (محمود العلي) عندما قدم إلى بروكسيل يطلب اللجوء من (بلد الأم) ، اذ مشى في اوربا مطارداً من بلد إلى بلد حتى وصل بلجيكا . وبعدها عمل في محل بيتزا نابولي في البورت دونامور ، ثم ترك عمله بسبب مشاجرة مع عنصري بلجيكي متطرف^(٤٢) . شعر حينها انه منبوذ علي نحو ما . فأخذ يقرأ في الموسوعة التي اشترتها له زوجته (آن) وفي ساعات الخلوة الطويلة حيث يبقى وحده في المنزل تهيمن عليه مشاهد وصور تزدحم في عقله حتى تشله ، مشاهد متنوعة و متناقضة ، أبشع ما فيها هي صور

حروب قديمة ، صور موتى ، مذابح تاريخ ، جرائم قتل عادية ، مشاهد تعذيب ، بل كل مصائب هذه الدنيا (بجملة الراوي)^(٤٣) .

وعليه أصبح يتوسل بإذلال كامل طبيبه النفسي أن يوقف هذه الماكينة التي في رأسه ، لكن دون جدوى . حتى تأتي اللحظة الحاسمة التي يتمكن بها من إيقاف تلك الماكينة بنفسه موظفاً في ذلك (رصاصه الانعتاق) الذات من متاعب الإقصاء ، كما في العبارة التي كتبها طبيبه النفسي على ملفه الشخصي : ((أخيراً تمكن محمود من إيقاف ماكينة الصور في رأسه ، من دون مساعدة ، لقد أوقفها بنفسه ، واغلق الملف))^(٤٤) .

وعليه يمكننا القول ، إن حجم المعاناة و المراحل الحياتية و المحطات التهمشية التي مر بها (محمود) ، تلك المراحل التي بدأت بانعدام لغة التواصل ، والفهم مع الآخر (المليشيات الدينية) ، التي كانت تطارده في بلد الام ، لاسيما بعد السقوط ، انتهاء بجغرافية العزلة (الاغتراب و المنفى الفعلي) و العبور



إلى أزمنة وأمكنة ثقافية مختلفة ومغايرة ، ليبقى الشعور المسيطر على الشخصية باستمرار هو وجود الذات في غير محلها ، والتشظي الذاتي بين عالمين ثقافيتين غير متجانسين ، تتولد عبرهما هوية هجينة مقصية لا تنتمي لنسق واحد ، ولا ترتبط بقيمة ثقافية ثابتة ، ليخرج إلى العلن الجدل المكتوم والحروب ، والتشرد والقمع الدائم ، وايدولوجيات العنف القمعية ، لتتكشف بذلك شعارات (علي بدر) : كشف الماضي من اجل كشف الحاضر . ويرسم في الوقت ذاته صورة الذات المسحوقة ، (التي تتواشج فيها احساسيس الهامشية مع معاني فقدان و النفي والاغتراب الداخلي والخارجي . وهي صورة أراد الروائي أن يضعنا أمامها و البحث في حقيقة هذه الشخصيات المقصية ليصبح (الموت) ثمناً لحرية مشتهاة وبديلاً لوطن مفقود .

وثمة هدية أخرى (مقصية) تقدمها لنا القصة الخامسة (حكاية المترجم الهندي التي رواها لي صحفي ميت) من أقاصيص (حفلة القتل) تتمثل

تلك الهوية بـ (الصحفي) ، الذي يتعرض له المسلحون ويتهمون به بالتجسس لصالح البريطانيين بواسطة المترجم الهندي (راجا تشاندران) فيذهب الروائي إلى رسم فنتازيا عن مقتله ومحاورته للقاتلين ، كما في هذا المشهد الدرامي ، الذي يسرده لنا الصحفي الميت ، الذي لم يعطيه المؤلف اسماً كدليل لمفهوم الإقصاء والتغيب : ((حسن ظنوني ميتاً أنا ظنيت نفسي كذلك ... قال لهم نحن مسلمون علينا ان نضعه بالتابوت و ندفنه ... الأمرد قام بقتلي وهو يبتسم ، وصاحب الوجه الكونكريتي جلب التابوت وكان الدور على السمين كي يحفر حفرة)) (٤٥) .

ومن هنا تنفتح القصة عل المتغيرات التي شهدتها العراق بعد عام ٢٠٠٣ وثقافة التحول التي افرزها الاحتلال وصعود الهويات الدينية (المليشيات الاسلامية) وحالنا الذي وصلنا اليه في ظل صعود هذه الانساق والفئات الاجتماعية بعد التغير، وتراجع سطوة الحكومة وما رافقها من فوضى عارمة

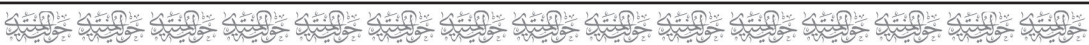


سادت الواقع السياسي بصعودها غير السوي ، ليوضح بذلك (علي بدر) رفضه لهذه الانساق الاجتماعية الصاعدة ، وما نجم عنها من صراعات أهلية أحدثت شرخاً جوهرياً في البنية السوسيو ثقافية دليل ذلك كلام الراوي الأخير والمباشر عبر خطابه للقارئ ليعطي صورة ساخرة بالرمز الثقافي الرسمي : ((إن البقر يصنع اقداراً أفضل بكثير من الاقدار التي تصنعها الهتنا المحترمة))^(٤٦) .

وفي أنموذج آخر للهوية المقصية تقدم لنا القصة الاخيرة (موت الجندي الخيالي) بطلها (سبهان) الذي خدم في الجيش العراقي لمدة (٢٢) عاماً و ستة أشهر ، حتى استشهاده عام ٢٠٠٣ في معركة صغيرة مع الجيش الامريكي بعد انتهاء الحرب بيومين .

تروي القصة حياة الجندي (سبهان) و حقيقة مقتله (بطريقة فنتازية) ، إذ يذهب الروائي إلى الحرب ويأتي محملاً منها بالكثير من الآهات والألام عبر السارد (سبهان) ، الذي يسرد حقيقة مقتله . إذ

تتناقل الأناس وبسرعة كبيرة خبر (صحيفة الكوت) وهي أن الشرطة المحلية القت القبض قبل يومين على رجل غريب ، له ملامح غاضبة ، ويستخدم لكنه كانت تستخدم قبل مئة عام . إذ يدعي هذا الشخص بانه كان جندياً ، أنضم إلى الجيش العراقي حينما كان في الثامنة عشر من عمره في فوج المغاوير الثالث ، الفوج الذي أيد عشرات المرات في حروب النظام السابق المتكررة ، ومع انه لم يستشهد في كل حرب إلا أنه جرح سبع مرات . معتمداً في ذلك على تقنية الاسترجاع كمعطى جمالي و رمزي لإدانة الحرب العراقية الإيرانية، التي أكلت ابناءها والسفر في التاريخ الوحشي ، وعنف الدولة الحديدية . فضلاً عن تجسيد الإحساس المستمر بالمأساة الحقيقية ، التي تنتهي بالإعاقة الجسدية وفقدان الذات كما في قوله : ((كان الجندي الإيراني خائباً في التصويب لانه سدد على جيبي في واقع الأمر فأخطئه وبدلاً من هذا اصاب أذني واطاح بها . هكذا شعرت بالدم وقد سال على عنقي))^(٤٧) .



ثم يقتل بعد ذلك على يد قناص امريكي في مدينة الكوت عام ٢٠٠٣ ، : ((نعم أنا شهيد آخر جندي في حرب الامريكان وإذا أردتم الدقة فأنا في الحقيقة : شهيد الوطن . أما كيف كان ذاك ، ببساطة : اخترقت جيبي ، رصاصة قناص امريكي اسود في العام ٢٠٠٣ اي قبل حوالي مئة عام من الآن))^(٤٨) ، وبناءً على ذلك ، يمكننا إرجاع الرصاصة التي اخترقت جسم (سبهان) إلى نزوعين :-

١- نزوع التهميش / (قبل سقوط النظام) وزيف معنى أن يكون لك وطن تضحي من اجله ، دليل ذلك قول الراوي الجندي سبهان: ((بعد أيام كنت تحسست شيئاً ناعماً و بارداً في جيبي فكانت أذني ... صرخت فرحاً : وجدتها ... إلا أن الطبيب قال .

- لا نفع فيها ... بعد أيام من سقوطها أصبحت خردة . ارميها أو ادفنها . افعل بها ما تشاء لأنها لن تعود ..))^(٤٩) .

٢- نزوع الاقصاء / (بعد سقوط النظام) الذي يجسد الرغبة لإفناء

الآخر ، والاستهزاء بالموت و التلذذ به من لدن السلطات الامريكية ، بوصفها سلطة مركزية تمارس همتها على الآخر لغرض محوه ، وجعله يعتكف خارج إطار المتن وحدد التاريخ ، كما في قوله :

((رصاصة واحدة فقط . طراب ... جاءت في الجبين . رفع الأحمق بندقية قبل أن أحييه أو أن أقدم له زهرة كنت احتفظت بها في جيبي))^(٥٠) .

وعليه تدين هذه المشاهد السردية النظام الدكتاتوري ، والحروب التي خاضها من جهة ، وثقافة الإقصاء واستعلاء الغرب و نظرتهم الدونية ورغبتهم في شطب الآخر من جهة اخرى .

ولا يغيب عن النظر ما ينطوي عليه مضمون القول من عنف لغوي ومفهومي ، واصطراع مصطخب في الحياة . أضف إلى فن السخرية وتكريس الصورة القمعية ، من خلال السماح للراوي (سبهان) بقص حقيقة مماته .

تبين لنا من خلال ما تقدم ، إن الهوية المقصية ، التي تجلت وترسخت



في أغلب شخصيات (حفلة القتل) كانت ناتجة عن اضطراب العالم الروائي ، وتردي أوضاعه السياسية والامنية ، لاسيما بعد عام ٢٠٠٣ وتفشي ظاهر الاحزاب والصراعات الفكرية والجسدية ، إلى جانب عمليات الاستلاب الحقيقية ذات الأشكال المتعددة و المتنوعة التي رسخت ثقافة الإقصاء والتهميش بين (الأنا والآخر) وقطع صلة الهوية والانتماء .

الخاتمة

لا يسعنا في خاتمة البحث الا الوقوف عند أهم وأبرز ما خرجنا به من دراسة (الهوية بين الأنا والآخر) والتي يمكن اجمالها بالآتي :-

- ١- هيمنة الوضعية الفوقية للهويات المركزية على الهويات الأخرى (الهامشية والمغيبة) .
- ٢- تركز ثنائية الحياة / الموت ، بوصفها أحد أهم الثيمات الرئيسة ، التي أبدع الروائي (علي بدر) في تناولها بطرق مختلفة .
- ٣- تحتل النهاية التراجيدية الوضعية الفوقية للمجموعة

القصصية .

- ٤- يحتل التوثيق اليومي لتجربة الحروب و الدمار الجزء الأكبر من أقاصيص (علي بدر) ، اذ بدون هذا التوثيق تتحول الحرب إلى فاجعة صماء لا تعني إلا اللامعنى .
- ٥- بروز ثيمة الصراع بين الأنا والآخر أو المركز والهامش في جميع أقاصيص (حفلة القتل) .
- ٦- حمل خطاب الروائي (علي بدر) دلالات متعددة تعبر عن رفضه للأفكار والايديولوجيات التي تهمش الآخر . وما يؤكد ذلك تصريحه المباشر في أغلب الأقاصيص .
- ٧- عناية الروائي (علي بدر) بكل ما هو هامشي ومغمور ومسكوت عنه . فضلاً عن عنايته بالأقليات العرقية و الطائفية .
- ٨- يبنى (علي بدر) أحداثه على بنية التصريح و الكشف والنقد ، وتوظيف الوثائق الذاتية و التاريخية ، وكل ذلك لتصوير الواقع العراقي بجوانبه المختلفة .

الهوامش:

- ١٥- المصدر نفسه، ص ١٤٣ .
- ١٦- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٢٠١ .
- ١٧- ينظر: لقاء اجراه وديع الشامخ، مسارات، مجلة فكرية ثقافية، ع ٢٤، السنة الأولى، بغداد، ٢٠٠٥، ص ٢٦ .
- ١٨- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٨ .
- ١٩- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٨ .
- ٢٠- الصفحة نفسها .
- ٢١- المصدر السابق، ص ٢٤ .
- ٢٢- ثريا النص، مدخل لدراسة العنوان القصصي، محمود عبد الوهاب، الموسوعة الصغيرة (٣٩٦)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٥، ص ٣١ .
- ٢٣- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٢٤ .
- ٢٤- المصدر نفسه، ص ٢٧ .
- ٢٥- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٥٣ .
- ٢٦- المصدر نفسه، ص ٥٤ .
- ٢٧- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٥٦ .
- ٢٨- المصدر نفسه، ص ٥٨ .
- ٢٩- حفلة القتلة، علي بدر، ص ١٣٧ .
- ٣٠- المصدر نفسه، ص ١٤٠ .
- ٣١- الهوية، اليكس ميكشيلي، د. علي وطفه، دار النشر الفرنسية، دمشق، ط ١، ١٩٩٣، ص ١٦٢ .
- ٣٢- حفلة القتلة، علي بدر، ص ١٥٢ .
- ٣٣- المصدر نفسه، ص ١٥٣ .
- ٣٤- الهوية العراقية، مجموعة مؤلفين، مجلة ميزوبوتاميا (بلاد النهرين)، مركز دراسات الامة العراقية ع ١٠، بغداد، ٢٠١٤، ص ٣ .
- ٣٥- ينظر: حفلة القتلة، علي بدر،
- ١- الهوية الوطنية العراقية، دراسة ميدانية، لؤي خزعزل جبر، المركز العراقي للمعلومات والدراسات العراق - بغداد، ط ١، ٢٠٠٨، ص ٢٥ .
- ٢- ينظر: تمثلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، د. نادر كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ١٠ .
- ٣- ينظر: المطابقة والاختلاف، بحث في المركزية الثقافية، عبدالله ابراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٢ . وينظر كذلك: موسيقى الحوت الازرق (الهوية، الكتابة، العنف)، ادونيس، دار الأدب، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٢٠٢ .
- ٤- حفلة القتلة، علي بدر، مكتبة دار الكا - بلجيكا، بغداد، ط ١، ٢٠١٨، ص ٣٢ .
- ٥- ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٤ .
- ٦- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٣٨ .
- ٧- المصدر نفسه، ص ٤٤ .
- ٨- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٤٥ .
- ٩- المصدر نفسه، ص ٨٢ .
- ١٠- حفلة القتلة، علي بدر، ص ٩٣ .
- ١١- المصدر نفسه، ص ٩٣ .
- ١٢- ينظر: الهوية والوجود، العقلانية التنويرية والموروث الديني، داريو شايغان، تر: جلال بدلة، دار الساقبي، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٢٠، ص ١٤٩ .
- ١٣- حفلة القتلة، علي بدر، ص ١٠٧ .
- ١٤- حفلة القتلة، علي بدر، ص ١٠٧ .





المصادر و المراجع

اولاً : المصادر

- ١- حفلة القتلة ، علي بدر ، مكتبة دار الكا - بلجيكا بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٨ .
- ثانياً : المراجع
- ١- إشكالية الأنا والآخر ، نماذج روائية عربية ، د. ماجد محمود ، سلسلة عالم المعرفة ، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب . ع ٣٩٨ ، مارس الكويت ، ٢٠١٣ .
- ٢- تمثيلات الآخر ، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط ، د. نادر كاظم المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤
- ٣- ثريا النص ، مدخل لدراسة العنوان القصص ، محمود عبد الوهاب ، الموسوعة الصغيرة (٣٩٦) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٩٥ .
- ٤- المطابقة والاختلاف ، بحث في المركزية الثقافية ، د. عبدالله ابراهيم ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .
- ٥- الهوية الوطنية العراقية ، دراسة ميدانية ، لؤي خزعل جبر ، المركز العراقي للمعلومات و الدراسات ، العراق - بغداد ، ط ١ ، ٢٠٠٨ .
- ٦- الهوية ، اليكس ميكشيلي ، تر: د. علي وطفة ، دار النشر الفرنسية ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٣ .
- ٧- الهوية والوجود ، العقلانية التنويرية و الموروث الديني ، دار يوش شايغان ،

ص ١٥٧ / ١٥٨ .

- ٣٦- حفلة القتلة ، علي بدر ، ص ١٥٨ .
- ٣٧- مدارات المفتوح والمنغلق في التشكيلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية ، أراق سعيد ، مجلة عالم الفكر ، ع ٤ ، مجلد ٣٦ ، إبريل يونيو ، ٢٠٠٨ ، ص ٢١٩ .
- ٣٨- إشكالية الانا والآخر ، نماذج روائية غربية . د. ماجد محمود ، سلسلة عالم المعرفة ، إصدار المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ، ع ٣٩٨ ، مارس ، الكويت ، ٢٠١٣ ، ص ١٥ .
- ٣٩- حفلة القتلة ، علي بدر ، ص ١٧ .
- ٤٠- ينظر : حفلة القتلة ، علي بدر ، ص ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .
- ٤١- المصدر نفسه ، ص ١٨ .
- ٤٢- ينظر حفلة القتلة ، علي بدر ، ص ٤٣ ، ٤٢
- ٤٣- ينظر ، المصدر نفسه ، ص ٤٣
- ٤٤- ينظر ، المصدر نفسه ، ص ٤٩
- ٤٥- ينظر : حفلة القتلة ، علي بدر ، ٨٤
- ٤٦- حفلة القتلة ، علي بدر ، ص ٨٧
- ٤٧- حفلة القتلة ، علي بدر ، ص ١٧٨
- ٤٨- المصدر نفسه ، ص ١٧٦
- ٤٩- المصدر نفسه ، ص ١٧٨
- ٥٠- المصدر نفسه ، ص ١٧٧

- تر: جلال بدلة ، دار الساقبي ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ٢٠٢٠ .
- ٨- موسيقى الحوت الأزرق (الهوية ، الكتابة ، العنف) ، أدونيس ، دار الآدب ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .
- ثالثاً: الدوريات
- ١- لقاء اجراه وديع الشامخ ، مسارات ، مجلة فكرية ثقافية ، ع ٢ ، السنة الأولى ، بغداد ، ٢٠٠٥ .
- ٢- مدارات المفتوح و المنغلق في التشكيلات
- الدلالية والتأريخية لمفهوم الهوية ، أراق سعيد ، مجلة عالم الفكر ، ع ٤ ، مجلة ٣٦ ، ابريل يونيو ٢٠٠٨ .
- ٣- يقظة الهوية العراقية ، مجموعة مؤلفين مجلة ميزوبوتاميا (بلاد النهرين) ، مركز ٤- دراسات الامة العراقية ، ع ١٠ ، بغداد ، ٢٠١٤ .

